١ - محمد

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى العربى من نسل إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، وأمه آمنة بنت وهب من بنى زهرة القرشية. ولد فى مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ليحج الناس إليه من كل مكان. ويعبدون الله وحده بلا شريك.

وحين بنى إبراهيم الكعبة بيت الله، دعا ربه أن يبعث من نسله ومن العرب نبيًا ورسولاً منهم، فكان محمد ﷺ هو استجابة هذه الدعوة. وبشر نبى الله عيسى بقدومه. وبعد خمسمائة واثنتين وسبعين سنة من ميلاد عيسى، ولد محمد ﷺ وكان يقول:

أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى.

٢ - يتمه ورضاعه

مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه. فنشأ يتيمًا فى رعاية جده عبد المطلب سيد أهل مكة. وبعثه جده إلى البادية ليرضعه فيها، ويتعلم الفصاحة من أهلها. تقول حليمة السعدية مرضعته:

خرجت على أتان[١] لى معنا شارف[٢] لنا فى سنة

---

(١) أتان: حمارة.

(٢) شارف: ناقة كبيرة.

شهباء[١]. وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، ما فى ثديى ما يغنيه، وما فى شارفنا ما يغديه. ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج. حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء. فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم. وذلك أنا كنا نرجو المعروف [٢] من أبى الصبى. فكنا نقول يتيم. وما عسى أن تصنع أمة وجده. فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعًا غيرى. فلما أجمعنا الانطلاق [٣] قلت لصاحبى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك[٤].

فذهبت إليه فأخذته. فلما أخذته رجعت به إلى رحلى [٥]، فلما وضعته فى حجرى[٦] أقبل علىَّ ثدياى [٧] بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك.

---

(١) سنة شهباء: فيها شح ومطر قليل.

(٢) المعروف: المال والهدايا.

(٣) الانطلاق: الرجوع إلى البادية.

(٤) لا عليك: لا مانع من ذلك.

(٥) رحلى: حملى على ناقتى.

(٦) حجرى: صدرى.

(٧) أقبل علىّ ثدياي: كثر فيهما اللبن.

وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل[1] فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريًا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة. يقول صاحبي[2] حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة. ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي. فوالله لقطعت بالركب[3] ما يقدر عليه شيء من حُمُرهم حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي. فيقلن: والله إن لها لشأنًا، ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدبَ منها. فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا[4] فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته[5]. وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان. فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته. فلم نزل بها حتى ردته معنا. فرجعنا به.

---

(١) حافل: ممتلئة.

(٢) صاحبي: زوجي.

(٣) الركب: الذين قدمت معهم.

(٤) لبَّنًا: مملوءة لبنًا.

(٥) فصلته: فطمته.

٣ - شق صدره

عن خالد بن معدان الكلاعى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله ، حدثنا عن نفسك؟ قال:

نعم، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام. واسترضعت فى سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لنا خلف بيوتنا نرعى بهماً[١] لنا، إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا، ثم أخذانى فشقا بطنى، واستخرجا قلبى فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه[٢]. ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزننى به فوزنتهم[٣]. ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزننى بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزننى بهم فوزنتهم، فقال : دعه فوالله لو وزنته بأمته لوزنها[٤].

٤ - وفاة أمه وجده

قال ابن اسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن.. حزم:

---

(١) بهماً: غنماً.

(٢) أنقياه: نظفاه.

(٣) وزنتهم : رجحت عليهم.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ١/١٦٥,١٦٦.

أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة. كانت قد قدمت به على أخواله تزيره إياهم، فماتت وهى راجعة به إلى مكة.

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة. فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس أحد من بنيه إجلالاً له. فكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلام جفر(١)، حتى يجلس عليه. فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع(٢).. فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم(٣).. فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم(٤).

٥ - حفظ الله تعالى له

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لى يحدث عما

---

(١) جفر: غلظ واشتد مع صغر سنه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ١/١٦٨.

(٣) المصدر نفسه. ١/١٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ١/١٧٩.

كان الله يحفظه فى صغره وأمر جاهليته أنه قال:

لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم وأدبر إذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال: شد عليك إزارك، فأخذته وشددته، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى، وإزارى علىّ من بين أصحابى(١).

وفى رواية البخارى:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبى ﷺ وعباس ينقلان الحجارة. فقال عباس للنبى ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة. فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزارى، إزارى» فشدّ عليه إزاره)(٢).

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: .

ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من الغناء إلا ليلتين. كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما. قلت: ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاء غنم أهلها. فقلت لصاحبى: أبصر لى

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ١/١٨٣.
(٢) البخارى / ٦٣، ب ٢٥، ج٥.

غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان؟ فقال بلى: قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير فقلت: ما هذا؟ فقالوا: تزوج فلان فلانة فجعلت أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا، ثم أخبرته بالذي رأيت . ثم قلت ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت فقيل لي نكح فلان فلانة. فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر. فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته)[1].

٦ - قصة بحيرى

ولما مات جده عبد المطلب، وماتت أمه كفله عمه أبو طالب، وعندما أراد أن يخرج إلى التجارة بالشام، وكان عمره تسع سنين (فلما أجمع السير[2]، صَبّ[3] به رسول الله ﷺ. قال:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١/ ٣١١، ٣١٢.

(٢) أجمع السير: قرُّر.

(٣) صَبَّ: اشتاق وأحب.

لأخرجن به معى لا يفارقنى أبداً. فخرج معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يُقال له بحيرى فى صومعة له. نزلوا فى ظل شجرة قريباً منه. فنظر إلى الغمامة (١) حين أظلّت الشجرة وتهصَّرت(٢) أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها. فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ثم أرسل إليهم فقال: إنى صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم.. فاجتمعوا إليه، وتخلّف رسول الله ﷺ لحداثة سنه(٣) فى رحال القوم تحت الشجرة. فلما نظر بحيرى فى القوم لم يرّ الصفة التى يعرف ويجد عنه. فقال: يا معشر قريش لا يتخلَّفن(٤) أحد منكم عن طعامى قالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغى أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سناً. فتخلف فى رحالهم.

فقال: لا تفعلوا. ادعوه، فليحضر هذا الطعام. فدعوه فلما رآه بحيرى جعل يلحظه(٥) لحظًا شديداً وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده فى صفته. حتى إذا فرغ (٦) القوم من طعامهم

---

(١) الغمامة: الغيمة.

(٢) تهصرت: تقاربت.

(٣) حداثة سنه: صغر سنه.

(٤) لا يتخلَّفن: لا يتأخرن.

(٥) يلحظه: يراقبه بشدة.

(٦) فرغ: انتهى.

وتفرّقوا قام إليه بحيرى فقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه. فقال له: لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئًا بغضهما. فجعل يسأله عن أشياء فجعل رسول الله ﷺ يخبره. ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب. فقل له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا. قال: فإنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به. قال: صدقت. فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود. فوالله لئن رأوه ليبغنّه شرًا[1]. فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده[2].

٧ - زواجه من خديجة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين سنة، تزوّج خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها. وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه

(١) ليبغنّه شرًا: ليقصدن إنزال الشر فيه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٨٢.

أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام [١] لها يقال له ميسرة. فقبل رسول الله ﷺ منها، وخرج فى مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب. فاطّلع الراهب إلى ميسرة فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى. ثم باع رسول الله ﷺ سلعته [٢] التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى ثم أقبل قافلاً [٣] إلى مكة ومعه ميسرة، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فاضعف[٤] أو قريبًا وحدَّثها ميسرة عن قول الراهب.. فلما أخبرها ميسرة وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة[٥] شريفة. فبعثت به إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك[٦] فى قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش

---

(١) غلام: عبد.

(٢) سلعته: بضائعه.

(٣) قافلاً: راجعًا.

(٤) أضعف: ربح في تجارته فصار المال ضعفين أو أكثر.

(٥) لبيبة: شديدة الذكاء.

(٦) سطتك: أوسط قومك في النسب وأعلاهم.

نسبًا، وأعظمهن شرفًا وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يُقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حتى دخل على خويلد بن أسد. فخطبها إليه، فتزوجها[١].

٨- الأمين

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة. اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، فأرادوا رفعها وتسقيفها[٢].

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة[٣]، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن[٤]. فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الآخر حتى تحاوزوا[٥] واختلفوا، وأعدو للقتال. فقربت بنو عبد الدار جفنة[٦] مملوءة دمًا ثم تعاقدوا[٧] هم وبنو عدى علي الموت،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٨٩ - ١٩٠ مقتطفات.

(٢) تسقيفها: جعل سقف لها.

(٣) على وحدة: وحدها.

(٤) الركن: الحجر الأسود.

(٥) تحاوزوا: انحازت كل قبيلة لأخرى.

(٦) جفنة: وعاءً.

(٧) تعاقدوا: اتفقوا.

وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجنفة فسموا لعقة الدم. فمكثت[1] قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا. ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة - وكان عامئذ أسن[2] قريش كلها: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه، ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه وقالوا: هذا الأمين رضينا به هذا محمد. فلما أخبروه الخبر قال ﷺ: هلم[3] إلى ثوبًا، فأتى به. فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم أرفعوه جميعًا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بني عليه.

وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[4].

٩- الوحى

كان رسول الله ﷺ يخلو[5] فى حراء[6] من كل سنة شهرًا.

---

(١) مكثت: بقيت.
(٢) أسن: أكبرها سنًا.
(٣) هلم: إيتونى بثوب.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩٢ - ١٩٨ مقتطفات.
(٥) يخلو: يجلس وحده.
(٦) حراء: جبل بمكة.

فيتحنث فيه (وهو التعبد الليالى ذوات العدد) قبل أن ينزع[١] إلى أهله، ويتزود[٢] لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذنى فغطنى[٣] حتى بلغ منى الجهد[٤] ثم أرسلنى[٥] فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق:٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده[٦] فدخل على خديجة فقال: زملونى[٧] فزملوه حتى ذهب عنه االروع[٨]. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل

---

(١) ينزع: يعود.

(٢) يتزود: يأخذ زاداً وطعاماً ليأكله فى خلوته.

(٣) غطنى: ضمنى.

(٤) بلغ منى الجهد: أصابنى التعب الشديد. كما فى رواية ابن إسحاق: حتى ظننت أنه الموت.

(٥) أرسلنى: تركنى.

(٦) يرجف فؤاده: يرجف قلبه من الخوف.

(٧) زملونى: غطونى.

(٨) الروع: الخوف.

الرحم وتحمل الكل[١] وتكسب المعدوم[٢]، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق[٣].

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل.. ابن عم خديجة. وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية.. وكان شيخًا كبيراً قد عمى فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس[٤] الذى نزَّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً[٥]. ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجى هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودىَ. وإن يدركنى[٦] يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب[٧] ورقة أن توفى، وفتر الوحى»[٨].

١٠- مسيرة الدعوة

وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله.

---

(١) تحمل الكل: تحمل الضعيف.
(٢) تكسب المعدوم: تعطى الفقير. تقرى الضيف: تقدم له الضيافة.
(٣) نوائب الحق: المصائب التي تنزل بالإنسان.
(٤) الناموس: الوحى.
(٥) جذعًا: شابًا.
(٦) يدركنى: أعيش إلى وقته.
(٧) ينشب: يلبث.
(٨) البخارى. ١/٣ - ٤.

وكانت أول من آمن بالله ورسوله، ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين. وكان في حجر[1] رسول الله ﷺ. ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان.. والزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام. ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وغيره.. ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً[2] من الرجال والنساء. ثم إن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ أن يصدع[3] بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره وأن يدعو إليه. وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره، واستتر به، إلى أن أمره الله عزوجل تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين. ثم قال الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤] وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعرا:٢١٤][4].

ولما أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قام علي الصفا[5] فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ وجعل

(١) حجر: بيت.
(٢) أرسالاً: يتتابعون واحداً بعد الآخر.
(٣) يصدع: يعلن.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام، مقتطفات من ١/ ٢٤٠ - ٢٦٣.
(٥) الصفا: جبل بجوار الكعبة.

الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إليه. فقال رسول الله ﷺ: إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. فقال:

«يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا.. إني نذير لكم بين يدى عذاب شديد»(١).

١١- موقف قريش من الدعوة

ومضى رسول الله ﷺ يظهر دين الله ويدعو إليه، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ.. فمشوا إلى أبى طالب فقالوا له:

يا أبا طالب إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا. وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا وعيب آلهتنا حتى تكفّه(٢) عنا أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم(٣) على أبى طالب فراق قومه وعداوته، ولم تطب(٤) نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ(٥) لهم.. فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخى إن قومك قد جاؤونى فقالوا لى كذا وكذا. فابقِ(٦) على وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق. فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا

---

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة المسد ٦/٢٢، وصحيح مسلم ١/١٩٢ و١٩٣ و١٩٤ من كتاب الإيمان الحديث ٣٥١ و٣٥٣.

(٢) تكفه: تمنعه. (٣) عظم: كبر.

(٤) لم تطب: لم ترض. (٥) إسلام رسول الله: تسليمه لقريش.

(٦) فابق على: حافظ على حياتى.

الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر[١] حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. فبكى، ثم قام، فناداه فقال: اذهب يا ابن أخى، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً.

ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ، وإسلامه، وإجماعه لفراقهم[٢] فى ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد[٣] فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصرته واتخذه ولداً فهو لك. واسلم لنا ابن أخيك هذا الذى خالفك دينك ودين آبائك، وفرق كلمة قومك، فنقتله. فإنما هو رجل برجل فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه، هذا والله لا يكون أبداً.

ثم إن قريشًا وثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم[٤]. ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبى طالب، وقد قام أبو طالب فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع[٥] رسول الله ﷺ، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبى لهب عدو الله الملعون[٦].

---

(١) الأمر: الإسلام.
(٢) إجماعه لفراقهم: قراره فراقهم.
(٣) أنهد: أقوى.
(٤) يفتنوهم عن دينهم: يجبرونهم علي الكفر بعد الإسلام.
(٥) منع: حماية.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام، مقتطفات ١/ ٢٦٥ - ٢٧٢.